الموازنة بين طبقات فحول الشّعراء لابن سلّام الجمحيّ وطبقات الشّعراء لابن المعتز

The balance between the classes of the stallions of the poets of Ibn Salam al-Jamahi and the classes of the poets of Ibn al-Mu›taz

م.م حسين عبد الزهره زبون

Hussein Abdel-Zahra is a customer

كلية اليرموك الجامعة

قسم آداب اللّغة العربيّة

الملخص باللغة العربيّة

تعدّ فكرة الطبقة من أبرز القضايا النّقدية التي اهتّم بها النّقاد ومن خلال الاطلاع والبحث وجد هذا المفهوم ليس عند النقاد فحسب بل هو مفهوم متداخل بين معظم العلوم وقد استعرضت هذه الوريقات بعض الفروقات بين الناقدين وما أتى به من تشابه في مواضع بالرغم من بعد المساحة التّأريخيّة الّتي بينهما ووضع كل ناقد اجتماعيا وماله من تأثير على آرائه النّقديّة .وطرحها في كتابه.ومن الواضح أنّ للكتابين (طبقات فحول الشّعراء لابن سلام وطبقات الشّعراء لعبد الله ابن المعتز) الأثر الواضح في النّقد الأدبيّ بكلّ حيثياته، هذا البحث يحاول أن يظهر جزءًا من هذه الموازنات والجماليات النّقديّة .

Abstract

The idea of class is one of the most prominent critical issues that critics have been interested in. Through perusal and research, this concept was found not only by critics, and it is an intertwined concept between most of the sciences. These papers reviewed some of the differences between critics and the similarities that came with it in places despite the distance of the historical space between them Each critic put social and financial influence on his critical opinions. He presented them in his book. It is clear that the two books (Tabaqat Fahul al-Shu’ara by Ibn Salam and Tabqat al-Shu`ara by Abdullah Ibn al-Moataz) have a clear impact on Arab culture with all its implications, and in this research he tries to show part of these Budgets and monetary aesthetics.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تقديم

إنّ للكتابين (طبقات فحول الشّعراء لابن سلام وطبقات الشّعراء لعبد الله ابن المعتز) الأثر الواضح في الثّقافة العربيّة بكلّ حيثياتها، ولاغرابة في ذلك لأن السّفرين من جهة يصوران حياة أمّة الشّعر ويعبران عن عقليّة العرب وأفكارهم ،وعواطفهم آنذاك، ويمثلان ذروة الإبداع التّأليفي في فنّ النّقد الأدبيّ باتجاهين مختلفين، ولا أحسب أنّ أيّ باحث في هذا المجال لايأخذ منهما ولايغرف من معينهما الثّر، ولقد قامت الدّراسات المتعددة في دراستهما باستفاضة لايتسع المجال لذكرها منها دراسة الطّبقات للباحثة صوريّة سلطان في رسالتها الطّبقات الشّعريّة في ضوء الدّراسات النّقديّة المعاصرة، وعبد الله ابن المعتز ناقدا للباحث ليث ضاري ولاننسى الكتاب المهم تأريخ النّقد الأدبيّ عند العرب: نقد الشّعر من القرن الثّاني حتى القرن الثّامن الهجري، بيروت، ١٩٧٨ لإحسان عبّاس ولعلّ من الأجدر في هذه السّطور القلائل أوّل ما ابتدئ به هو القول إنّي كتبت في هذه الوريقات مارأيته من مسائل نقديّة ومن موازنات ومقاربات، فحاولت جاهدا أن أوجز عرضا للكتابين بما يقارب لا الموازنة لأنّها تحتاج إلى أدوات: كثر، وأن أكون وصفيّا ما استطعت لامعياريّا، فجاءت القراءة لتثير نوعا من الحوار المعرفيّ المبني على دراسة الموازنة الّتي بناها صاحبا الكتابين وهي المقاييس (الزّمن، البيئة، الدّين، الكم) عند الجمحيّ والذّوقيّة والانطباعيّة عند ابن المعتز، ضمن الأطر العامّة فتناولت الطّبقة مفهومًا، عند كلّ واحد منهما ،ونظام الطّبقة وضوابط المفاضلة في الطّبقات وكذلك عرج الباحث على الآراء النّقديّة الّتي هي واضحة للعيان في مقدّمة ومتن الكتابين، علّها تكون حافزا إلى دفع النّقاد على اختلاف مشاربهم بالالتفات إلى مسألة لم نتلمسه فإثارة هذا الموضوع ما هو إلا

تأكيد على بناء أساس لطالب العلم أن يستند بمرجعياته إلى تراثنا العربي القديم ليبني له صرحا في عالم المعرفة وتشكيل المشهد الإبداعي.

ابن سلاّم حياته وكتابه:

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري، مولى قدامة بن مظعون الجمحيّ بالولاء، ولد بالبصرة سنة (**١٣٩** هـ) وتوفي**٢٣٢**هـ) في بغداد التقى بعلماء اللّغة والنحو ورواة الأخبار والأدب، وسمع من شيوخ الحديث وروى عنهم، وقد حدث عن حمّاد بن سلمة، وزائدة بن أبي الرّقاد، وأبي عوانة والأصمعيّ وغيرهم .. وعرف باطّلاعه الواسع وغزارة علمه وعد من الثّقات وروى عنه أمثال أبو حاتم السّجستانيّ وثعلب والمازني وأحمد بن حنبل وأبو الفضل الرّياشيّ وصاحب الفهرست يذكر أنّ للجمحيّ غير هذا الكتاب كتب أخرى مثل بيوتات العرب، وأجر الخيل، ويعدّ كتابه طبقات فحول الشّعراء من أقدم كتب النّقد الأدبي ومؤلفه من أوائل النّقاد الّذين بوبوا للشعر والشّعراء ونظموا له دراسة مفصلة ممنهجة وهذه تعدّ سابقة له ولمؤلفه[١]

ابن المعتز حياته وكتابه:

هو عبد الله بن المعتز ولد في بغداد ونشأ فيها بعيدا عن البلاط ودسائسه حتّى استخلف المقتدر وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتاب فخلعوه وحملوا ابن المعتز إلى العرش وبايعوه للخلافة ولقبوه المرتضى بالله غير أنّ خلافته لم تدم إلا يوما وليلة، ذاك بأنّ أنصار المقتدر لم يلبثوا أن تغلبوا على أنصاره وفتكوا بهم، ففر ابن المعتز إلى دار ابن الجصاص التّاجر الجوهريّ فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم فقتله وبعث به جثة إلى أهله فلفوه بكساه ودفنوه بخربة قرب داره – اقتبس ابن المعتز آداب العرب وعلومهم

(١) .ينظر: الفهرست لابن النديم: ١٦٥. ومعجم الأدباء للحموي: ج/ ١٨:٢٠٤. وونزهة الألباء للأنباري: ١١٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

من أبي العبّاس المبرد وأبي العبّاس ثعلب فخرج شاعرا مطبوع القريحة، رقيق الألفاظ والمعاني – إلّا أنّ ثقافته كانت عربيّة خالصة فلم تتأثر بالنّهضة الثّقافيّة آنذاك وله مجموعة مصنفات منها: البديع ويعدّ هو أوّل من ألف في البديع، وكتاب الآداب وله ديوان شعر وفصول التّماثيل في تباشير السّرور[1]

مفهوم الطبقة:

ممّا لاشك فيه أنّ الطّبقة مظهر من مظاهر النّقد وهو مصطلح شائع في تراثنا النّقديّ القديم وهو أصل من أصوله وفيه عمليّة تقديم وتفضل بين الشّعراء وفق معايير معينة وخصائص إبداعيّة

الطّبقة لغة:

تعددت دلالة اللّفظ فوردت في معان عدة منها ((وطبق كلّ شيء: ماساواه وتطابق الشّيئان تساويا والمطابقة ٠٠الموافقة))[2] وقد يأتي بمعنى التوالي والترتيب ومنها سميت السماوات الطباق لمطابقتها بعضها بعضا لأن بعضها مطبق على بعض ومنه قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا))[3]، ويذكر الزّمخشريّ فـ(الطّبقة: منازل درجات بعضها أرفع من بعض)[4]. وهي لاتخرج عن التّوالي والتّرتيب والزّمنيّة أو المشابهة والمفاضلة وكلّ هذه الانزياحات ابتنى عليها المعنى الاصطلاحيّ لمفهوم الطّبقة.

الطّبقة اصطلاحًا:

هي لم تغاير المنحى الدّلاليّ اللّغويّ وإنّما استمد منه فاصطلاحا تعني المنزلة، والدّرجة، والمرتبة الشّعريّة الّتي تحدد بالأخذ عن السّابق دون أي اعتبار آخر،

(١) ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي: ١٥- ٢٥، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١١/٣٠٢،وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٣/٧٦.

(٢) لسان العرب مادة (طبق)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (طبق) .

(٣) نوح: ١٥.

(٤) ق . أساس البلاغة للزمخشري (طبق).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

فهي مصطلح نقديّ ذو أبعاد تأريخيّة وفنيّة وأسلوبيّة لها دلالتها الأدبيّة بوصفها قضية في تأريخ النّقد الأدبيّ[١] ،ويظهر مصطلح الطّبقة بمفهومه النّقديّ واضحا وصريحًا عند الأصمعيّ (ت٢١٦ هـ) واستخدمه على أنّه مجموعة من الشّعراء الّذين تجمعهم الطّبقة الواحدة فنيًّا فذكر أنَّ من أراد النّسيب من الشّعر المحدث ففي شعرعمر ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والطّبقة الّذين من هؤلاء وقد سبقه اللّغويون فملحوظاتهم اللّغويّة بإمكاننا أن نعدّها البذرة الأولى لظهورالمعياريّة النّقديّة وتصويب الشّعر والحكم عليه[٢] ثمّا مهد الصّورة للنقاد حتّى وصلت إلى ما هي عليه في ذروتها عند ناقدينا، فكان أهل اللّغة بإشاراتهم استطاعوا أن يصلوا إلى الطّبقة الأولى من الشّعراء الإسلاميين بعد تمحيص وتدقيق للشعراء ومواهبهم وقالوا إنّ ثلاثة شعراء قد أجمع النّاس عليهم هم (جرير، الفرزدق، الأخطل) ويقابلهم ويماثلهم في الجاهلية (امرؤ القيس، زهير، النابغة، والأعشى) ومعنى طبقة أنّهم نظراء وأنّهم المتقدمون والمبرزون وفكرة الطّبقة الأولى توحي بطبقات أخرى[٣] وعبر موازنة شعراء الطّبقة الأولى من الجاهليين مع هؤلاء المبرزين الإسلاميين من حيث الأغراض والأساليب والطّبع، فربط أبو عمرو بن العلاء بين الأعشى وجرير وزهير والفرزدق، وبين النّابغة والأخطل وذكر في الصّفحة السّابقة أنّ من استعملها من النّقاد الأصمعيّ[٤] فمقياس الطّبقة عنده من خلال أقواله إنَّ مجموعة من الشّعراء لايتقاربون في الشّعر وإنّما يتقاربون في الزّمن فذاك هو الّذي جمعهم في طبقة واحدة ففي موضع أشار

(١) ينظر: تأريخ النقد الأدبي: د.عناد غزوان، د.جلال الخياط ود. داود سلوم: ٦٩.
(٢) المصون فيالأدب: أبو أحمد العسكري: ٥.
(٣) ينظر: جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشيّ: ٩٩.
(٤) ينظر: العمدة: ج١/٩٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

إلى الدّلالة الزّمنيّة لمقياس الطّبقة عندما أراد أن يتحدث ويحدد منزلة ابن أحمر الباهليّ:

يقول ليس بفحل، ولكنه دون هؤلاء يريد الرّاعي وابن مقبل وفوق طبقته فهذا يبين دلالة وعامل الزّمن في تحديد الطّبقة عند الأصمعيّ[1].

الطّبقة عند ابن سلاّم:

أضفى ابن سلاّم في كتابه دلالة مهمة لمفوم «الطبقة»، تكمن هذه الأهميّة من الضّوابط الّتي أطرت توظيفها في هذا الكتاب الّذي يصفه بعضهم (مدون أو مكتوب) منهجيّ في النّقد العربيّ القديم/ وذلك لما احتوى من عوامل على أساسها شكلت مفاصل جوهريّة رسمت هيكل الكتاب، ومن هذه العوامل عامل (الزّمن) وهو الإطار الكبير الأوّل الّذي اتّخذه ابن سلام، فقد كان كتابه يدور حول طبقتين رئيستين هما الشّعراء الجاهليون والشّعراء الإسلاميون وهو بذلك قدم لنا زمنين مختلفين وهذا يدل على تحضر ورقي في التّفكير وإدخاله ضمن مقاسات أوليّة للنقد الأدبيّ من حيث الظّاهرة، فالظّاهرة لايمكن أن تدرس إلا زمنيًّا هذا من جانب ومن جانب آخر فإنّ الطّبقة لايمكن دراستها إلّا من خلال الزّمن باعتباره المهيمن الأوّل على ثقافة وسلوك وشعر هذه الطّبقة أو تلك، وما يجعلنا أن نذهب إلى ابن سلاّم الجمحيّ كان متميزًا في تفكيره النّقديّ وهو ما دأب عليه النّقاد المحدثون علمًا أنّ هناك تأسيس قديم لهذه الظّاهرة الّتي تسمى اليوم بـ(الجيل) واستخلص ابن سلاّم مقياس الطّبقة من النّقاد الّذين سبقوه فضلا عن علماء الحديث الّذين شاع المقياس في مؤلفاتهم فأدخل ابن سلاّم إلى الدّلالة الزّمنيّة للمقياس (فنيّة جماليّة)[2]، وحرص على أن يضيق دائرة الاختيار فاختار من

(١) فحولة الشّعراء، الأصمعيّ، ١٢

(٢) الطبقة من الشعراء لدى محمد بن سلام: د. علي جواد الطاهر: ١٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الفحول وهم كثرة كما يدل السّياق أربعين شاعرًا فحلا في الجاهليّة وأربعين شاعرًا فحلاً في الإسلام، ولم يكن الفحول في نظر ابن سلاّم يتمتعون بمنزلة واحدة، أو ينزلون في منزلة واحدة وهذا مادفعه إلى التّمييز بينهم والتّفريق بقدراتهم الشّعريّة فكانوا عشر طبقات في الجاهليّة وعشر طبقات في الإسلام، وقد حدد شعراء كلّ طبقة بأربعة شعراء لايزيدون ولاينقصون فنظامه هذا عشريّ رباعيّ طبقيّ.

مفهوم الفحولة عند ابن سلاّم:

جاء في» المقاييس «كتاب الفاء، باب الفاء والحاء وما يثلثهما: «فحل: الفاء والحاء واللام أصل صحيح يدل على ذكارة وقوة، ومن ذلك الفحل من كلّ شيء وهو الذّكر الباسل»، وجاء في «القاموس المحيط»: «الفحل الذّكر من كلّ حيوان... ورجل فحيل: فحل... وفحول الشّعر الغالبون بالهجاء من هاجاهم، وكذا كلّ من إذا عارض شاعرًا فضل عليه»، وجاء في» اللّسان – باب اللام، فصل الفاء»: والفحول: الرّواة[1].

وإنَّ المتأمل في قضية الفحولة ينصرف ذهنه حتمًا إلى الأصمعيّ في التّطرق لهذه القضية إلّا أنّ ابن سلام أخذها ووسع لها وأعاد صياغتها حيث غاص في أعماق هذه الفكرة ودرسها دراسة نقديّة تكشف عن روح عالم متأثر بطريقة عصره في الاستيعاب والشّرح والتّحليل، فقد أولى ابن سلاّم عناية فائقة بالشّعر والشّعراء من خلال كتابه الذي يهدف من ورائه إلى تخليص الشّعر العربيّ من الشّوائب العالقة به وانتقاء فحول الشّعراء وتمييز مراتبهم والمعايير التي اتخذها معيار الجودة والكم،

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، كتاب الفاء باب الفاء والحاء وما يثلثهما، ٤ /٤٧٨، د.ط، د.ت.
القاموس المحيط، الفيروزآبادي؛ تحقيق محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت، مادة فحل، ٣ /٢٠١٤، د.ط، ٢٠١٤.
لسان العرب، ابن منظور، باب اللام، دار صادر، بيروت، ١ /٥١٨، د.ط، د.ت.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وتعدد الأغراض،والجزالة[1]

مفهوم الطبقة عند ابن المعتز:

يختلف مفهوم الطبقة عند ابن المعتز فالترتيب الرّباعيّ للطبقات يختفي وإنّما نجد ترادفًا بين شاعر وآخر، فموضوع الزّمن بدأ مع بداية ملوك بني العبّاس وانتهاء بزمانه فنراه يبدأ بأخبار ابن هرمة وانتهاء بشعر الشّواعر من النّساء منها الخنساء جارية هشام المكفوف وعائشة العثمانيّة، وفضل الشّاعرة، فيقول في كتابه: ((عقد الفكر طرفي ليلة بالنّجوم، لوارد ورد عليّ من الهموم، نفض عن عيني كحل الرّقاد، وألبس مقلتي حلل السّهاد، فتأملت، فخطر على الخاطر في بعض الأفكار، أنَّ أذكر في نسخة ما وضعته الشّعراء من الأشعار، في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العبّاس، ليكون مذكورًا عند النّاس، متابعًا لما ألفه ابن نجيم قبلي بكتابه المسمى طبقات الشّعراء الثّقات، مستعينًا بالله المسهل الحاجات، وسميته طبقات الشّعراء المتكلمين، الثّقات من الأدباء المتقدمين... فكان أوّل ترجمة ابن نجيم بشار بن برد وما له من الأشعار والآثار فنظرت في ذلك أنّ أجمعهم في هذا الكتاب، فرأيت الاختصار لأشعارهم عين الصواب، ولو اقتصيت جميع ما لهم من الأشعار لطال الكتاب، وخرج عن حد القصد، فاختصرت ذلك وذكرت ما كان شاذًا من دواوينهم، وما لم يذكر في الكتب من أشعارهم، واقتصرت على ما كان من مطولات قصائدهم، وبالله الاستعانة والتّوفيق، وإليه المرجع والمآب، وما توفيقي إلّا بالله، وعليه فليتوكل المتوكلون، ومنه يطلب الطّالبون، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النّصير))[2]

فهذه في مقدّمة كتابه تبين تأليفه للكتاب وفكرة الطّبقات.

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي: ٦٨.

(٢) . طبقات الشعراء: لابن المعتز: ١٨.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

فقد رتب ابن المعتز الشعراء ترتيبا لا يخضع لمعيار طبقي واضح، وإنما أقام تقسيمه على ذوقه، فبدأ بمدح الشعراء للعبّاسيين وابن المعتز . وقد أعرض عن شعراء الهجاء ولاسيما من هجا منهم والده، وترجم لشعراء المجون وأكثرهم ندماء البلاط، فالغاية تفهم من كلامه في الخطبة، وهو لا يلبث أن يصرح بها في ثنايا الكتاب، ففي ترجمته لأحد الشعراء وهو أبو الشيص (بن رزين الخزاعي، ابن عم دعبل، ينادم الملوك، اشتهر بشربه الخمر، مدائحه في الرشيد كثيرة، مات مقتولا)[١] وفي أثناء حديثه عن وضعية القارئ لكتابه «...ليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ،فإن هذا الشيء قد كثرت رواية الناس له فملوه، وقد قيل لكل جديد لذة، والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم، فمن هنا أخذنا من كل خبر عينه ومن كل قلادة حبتها»[٢] .

من خلال هذا النّص يتضح الدّفاع عن الشعراء المحدثين وهو دفاع عن ذائقته الشعريّة أيضا، يريد ذكر أترابه وتخليد ذكرهم، واهتّم ابن المعتز بأصحاب البديع من الشّعراء مثل بشار وأبي تمام وهذا ينم عن منهج قائم بين كتابه هذا وكتاب البديع. ونرى تعليقات على الشعراء تعليقات نقديّة مهمة.

نظام الطّبقة الواحدة عند ابن سلاّم:

إنّ شعراء كلّ طبقة هم متساوون من حيث القيمة والمنزلة الشّعريّة وهذا هو الأساس الّذي ارتآه ابن سلاّم حيث جمع بين شعراء كلّ طبقة ونصّ على أنّه لامفاضلة بين شعراء الطّبقة الواحدة وأنّ طبيعة التّقسيم هي الّتي جعلت واحدا قبل الآخر: (وليس تبدئتنا أحدهم في الكتاب نحكم له ولابدّ من مبتدأ)[٣]

(١) طبقات الشعراء: لابن المعتز: ١٨.

(٢) طبقات الشعراء: لابن المعتز: ١٨.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ١: ٥٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ولكننا لانستطيع التّسليم بهذا فنحن نحس أنّ المفاضلة موجودة بين الشّعراء داخل الطّبقة الواحدة مع احتفاظ الطّبقة بمكانتها بما يميزها من غيرها فهو حين يرتب شعراء الطّبقة الأولى ينحاز إلى امرئ القيس لأنّ مدرسة البصرة وهو منهم تقدمه[١]

وقد يلحظ أنّ التّزامه بالعدد الّذي لم يفكر في مخالفته قد أوقعه في بعض الاضطراب، فطبقته مغلقة على هذا العدد ممّا يشعرنا بحرصه على النّمط الشّكليّ لتصميم كتابه، ولاننس أنّه يعي بإشاراته المبثوثة في طيات حديثه ما اقتضاه منهجه الطّبقيّ ذو التّرتيب الرّباعيّ فعندما أخر أوس بن حجر إلى الطّبقة الثّانية ولحقه مع الأولى قال عنه (وهو المقدم عليهم)[٢] ممّا يدل أنّه تمنى لوجعله مع الطّبقة الأولى لولا ما ألزم به نفسه، وأخر الرّاعي في الطّبقة الأولى من الإسلاميين بحكم أنّه لاخلاف في تأخيره في طبقته بين عامّة العلماء[٣] ولكن نظام الطّبقة لايكتمل إلا بالرّابع، فضم الرّاعي لثالوث النّقائض، وقدم متمم بن نويرة على طبقة المراثيّ[٤] وحسان بن ثابت على طبقة شعراء القرى[٥].

نظام الطّبقة الواحدة عند ابن المعتز:

لعلّ ابن المعتز في كتابه خير مثل للناقد الّذي كان يؤمن بقول القائل:

((أشعر النّاس من أنت في شعره حتّى تفرغ منه)) وهو قول كان يعجب ابن قتيبة لأنّه كان يريح النّاقد من المفاضلة والبحث عن المعنى ويعبر عن لحظات التّحول والتّردد في أذواق النّاس ونشوء الميل الآني إلى الشّيء وتجربة وهلة الإعجاب الأوّل لدى الكشف المفاجئ فهي قاعدة ينفر منها النّقد الموضوعيّ وعليه فإنّ كلّ الشّعراء الّذين أوردهم هم في طبقة واحدة وكلّ واحد منهم هو طبقة

(١) طبقات فحول الشعراء: ١: ٥٢.
(٢) طبقات فحول الشعراء: ١: ٩٧.
(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٢: ٢٩٩.
(٤) طبقات فحول الشعراء: ٢٠٤:١.
(٥) طبقات فحول الشعراء: ١: ٢٠٤.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بحدّ ذاته والّذي يفرق بينهم هو عامل التّقديم والتّأخير في الزّمن[١] وشهرة الشّاعر وجودته لذا اختلف عن ابن سلاّم وجاء كتابه بأقل وطأة من تمسك الأوّل بمعايير وضوابط وإنّما جاء عفويًّا مرسلا وأقل تقييدا، وحرية في آفاق الكتاب.

ضوابط المفاضلة عند ابن سلاّم:

من أهمّ الأسس الّتي اعتمد عليها النّقاد في المفاضلة بمقياس الطّبقة الاعتماد على ضوابط عدّة تحدد من ينتمي إلى الطّبقة ومن يخرج منها إلى طبقة أدنى، ومن هذه الضّوابط:

١- أقوال العلماء وأحكامهم:

اعتمد ابن سلاّم اعتمادًا كبيرًا في تقديم الشّعراء وتأخيرهم على هذا الضّابط، فكانت غايته جمع أكبر عدد من البراهين لتسويغ التّرتيب دون إعادة النّظرفيها ،لأنّها تمثل تراثًا نقديًّا أخذوه عن أساتذتهم ولاسيّما أنّ هؤلاء العلماء كانت لهم شهرتهم الواسعة فلم يملك ابن سلاّم الّا الوقوف عند هذه الآراء والأحكام النّقديّة والالتزام بمعظمها على الرّغم من أنَّ هذه الأحكام يظهرعليها التّأثريّة والانطباعيّة الّتي لاتستند إلى منهجيّة معينة إلّا أنّها نالت من الشّهرة ماجعل الخروج عليها أمرًا عسيرًا في أكثر الأحيان. فيقول: ((احتججنا لكلّ شاعر بما وجدنا له من حجّة، وما قاله فيه العلماء))[٢] ويوكل ابن سلاّم التّفاضل بين الشّعراء لأهله العالمين أسراره ولايمكن الخروج عليهم إذا أجمعوا على أمر (فأما ما اتّفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه)[٣] وحين عمد إلى تقديم الطّبقة الجاهليّة الأولى قال: (ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنّظر والرّواية عمّن مضى من أهل العلم إلى أربعة على أنّهم أشعر العرب طبقة)[٤] والأمثلة كثيرة على هذا الاحتجاج بأقوال

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب: د.إحسان عباس: ١١٥-١١٦.

(٢) طبقات فحول الشّعراء: ١: ٢٤.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ١: ٤.

(٤) طبقات فحول الشعراء: ١: ٤٩-٥٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

العلماء الّتي يسوقها من غير تدخل منه، وكأن ما عرف فيما بعد في التّأصيل الفقهيّ «الإجماع» كان حاضرًا في الذّهنيّة النّقديّة.

٢.التّشابه والتّقارب:

وهذا المعيار يتضح أكثر عند ابن سلاّم عندما اتّخذه قاعدة مهمة في تقسيم الشّعراء (فألفنا من تشابه شعره إلى نظرائه)[١] هذا التشابه يتخذ منحيين:

الأوّل: التّشابه في أصالة الوهبة الشّعريّة - إذ جمع كلّ أربعة شعراء في طبقة واحدة اعتمادًا على قوّة الشّاعريّة (أربعة رهط متكافئين معتدلين) فهذا يعني أنّهم متساوون من حيث القيمة والمنزلة الشّعريّة.

المنحى الثّاني: التّشابه في الغرض الشّعريّ، كأن يجمع أصحاب المراثيّ في طبقة واحدة، وأن يضع ابن قيس الرّقيات، والأحوص وجميل بثينة، ونصيبا في طبقة واحدة، لأنّهم يشتركون في الغزل، وأن يجمع الرّجاز في طبقة واحدة، كما حشد شعراء كلّ قرية ناظرا إلى صلتهم ببيئة واحدة، وجمع شعراء جنس واحد معا (طبقة شعراء اليهود) فهذا الأساس المهم الّذي بنى عليه عمله هو (أساس فنيّ صرف ينبثق من صميم الشّعر وطبيعته)[٢] فالتّشابه أساس في تقسيم الشّعراء داخل الطّبقات وكذلك في تدرج الطّبقات وترتيبها.

٣. الكثرة والجودة:

وهذا المعيار أكثر وضوحا عند ابن سلاّم فقد حدد به طبقات الشّعراء فالطّبقة الّتي تمتاز بكثرة الشّعر وجودته تكون متقدّمة على غيرها في التّرتيب ويتضح ذلك من تقديم الطّبقة الأولى الّتي أسلفنا ذكرها على الطّبقات العشر الأولى الجاهليّة، وتأخير طبقة (طرفة، عبيد، علقمة، عدي) إلى الطّبقة الرّابعة وينصّ على تأخيرهم

(١) طبقات فحول الشعراء: ١: ٢٤.

(٢) الطّبقة من الشّعراء لدى ابن سلاّم: ١٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بقوله: (وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل، وإنّما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرّواة)[١] ولم يقتصر هذا المعيار عند ابن سلاّم على ترتيب الطّبقات فحسب، وإنّما تعدى ذلك إلى تحديد مرتبة الشّاعر منفردا، فالأسود بن يعفر عند ابن سلاّم الثّالث من الطّبقة الجاهليّة الخامسة لأنّ (له واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشّعر، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته)[٢] فهذه من أشد المعايير تأثيرا في تحديد الحكم وتقدير مكانة الشّاعر.

ضوابط المفاضلة عند ابن المعتز:

حسبك أن تقرأ هذه الأقوال لابن المعتز كي تدرك ما أعنيه[٣]

بشار وممّا يستحسن من شعره وإن كان شعره كلّه حسنا

أبو الهنديّ: وممّا يستحسن له وإن كان شعره كلّه حسنًا جيدًا.

ربيعة الرّقيّ: وممّا يستملح له، وإن كان شعره كلّه مليحًا عذبًا مطبوعًا جيدًا هنيئًا.

مسلم بن الوليد: وممّا يستحسن له، على أن شعره كلّه ديباج حسن لا يدفعه عن ذلك أحد.

الحارثيّ: ومن جيد شعره وإن كان كلّ شعره جيدًا.

أبو تمام: وممّا يستملح من شعره كلّه.

حسن العتابيّ: وأشعار العتابيّ كلّها عيون، ليس فيها بيت ساقط وهذه أمثلة تجد لها نظائر كثيرة في كتابه، إذا هو تحدث عن الشّعر كلّه بحكم واحد، ومثلها أحكام على القصيدة الواحدة، «فهذه سارت مسير الشمس والريح» وتلك «أشهر من الشّمس» وثالثة «صارت مثلاً سائرًا في النّاس»؛ ورابعة «أشهر من الفرس الأبلق» ثم أحكام أخرى على البيت الواحد؛ « هذا البيت أقرت الشّعراء قاطبة أنَّه لايكون وراءه حسن ولا جودة

(١) طبقات فحول الشعراء: ١: ١٣٧.
(٢) طبقات فحول الشعراء: ٠١ ١٥٥.
(٣). تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١١٦-١١٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

معنى» وذلك «سجدة للشعراء» وغير ذلك ممّا تجده مبثوثًا في كتابه «طبقات الشّعراء وربّما أدهشنا هذا اللّون الجارف من الأحكام النّقديّة. ولكن سرعان ما تزول دهشتنا إذا تذكرنا أنّ ابن المعتز كان في منزلته الاجتماعيّة يمثل دور «الرّعاية» والعطف على الحركة الأدبيّة، وليس من خلق «الرّاعيّ» ذي اليد العليّا أن يتجاوز حدود المجاملة الاجتماعيّة اللائقة، كذلك فعن ابن المعتز كان ذا مذهب شعريّ ذي سمات ذاتيّة خاصة قد تحول بينه وبين تذوق الأشعار الّتي تباين مذهبه،فاللجوء إلى هذه التّأثريّة يسبغ عليه صفة «سعة الصّدر» في النّقد، ويحميه من الاتهام بالتّحيز لطريقته؛ وفي ظل هذه التّأثريّة وحدها يستطيع أن يترجم لشعراء من هجائي أسرته ومداحي العلويّة من أمثال السّيّد الحميريّ ودعبل. ولا ريب في أنّ الظّهور بهذا المظهر التّاثريّ يحقق له صفة النّاقد العادل أكثر ممّا تحققه الموضوعيّة، وذلك شيء غريب حقًّا. شخص واحد لم يستطع ابن المعتز أن يوسع له مكانًا في كتابه، وذلك هو ابن الرّوميّ لأنَّ هذا الشّاعر كان قد هجا المعتز أباه، غير إنَّ إغفاله له كان تحاشيًا من التّورط في الخروج عن خطة التّقريظ الانطباعيّ، وهو أسلم من إدراجه في الكتاب[1] .

آراء نقديّة عند ابن سلاّم:

ناقش ابن سلاّم قضايا عدة في مقدّمة الكتاب معالجًا إيّاها بوضع العلل والأسباب أهمّها قضية (الانتحال) إذ لها أهميّة كبيرة قبل الإقدام على تصنيف الشّعراء في طبقات، فلابدّ أن يحكم على شعر موثوق بروايته، فانتهى إلى أنَّ الشّعر تعرض للوضع وعلى نطاق واسع لأسباب كثيرة الأمر الّذي جعل ابن سلام ينفيه، ويرفضه، مبينًا الأدلة الّتي تستدعي ذلك، وهي:

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١١٦-١١٧.

أدلة قرآنيّة . وتتمثل فيما جاء في القرآن الكريم من آيات عديدة تتحدث عن الأمم السّابقة وانقطاع دابر بعضها، فالله سبحانه

يقول: ((وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ)) [١] ويقول في عاد: ((فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ))[٢]

فإذا كان الله قد أهلك عاداوثمود جميعا فمن إذن حمل هذا الشّعر؟ ومن أداه منذ آلاف السّنين؟[٣] و أدلة تأريخية: وتتمثل في رجوع ابن سلام إلى تأريخ اللّغة العربيّة؛ واختلاف لهجات العرب، وكذلك إلى تأريخ الشّعر العربي حيث يرى: إنّ اللّغة العربيّة لم تكن موجودة في عهد عاد وثمود، وليس يصح الأذهان يوجد شعر بلغة لم توجد بعد فأوّل من تكلم بالعربيّة هو إسماعيل ابن إبراهيم، وإسماعيل كان بعد عاد وثمود[٤] .واختلاف اللهجات: ويستدل ابن سلام على ذلك بقول أبي عمرو بن أبي العلاء: (العرب كلها ولد إسماعيل، إلاحمير وبقايا جرهم)[٥] وقوله: (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا)[٦] ويتحدث عن الأدب الجاهليّ فيقول: (ولم يكن لأوائل العرب من الشّعر إلّا الأبيات يقولها الرّجل في حاجته، وإنّما قصدت القصائد، وطول الشّعر في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدلّ على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع .[٧] ثم يحدد الأسباب الّتي جعلت العرب تنتحل الشّعر أوّلها الوضاعون والرّواة وزيادتهم في الأشعار والثّاني العصبيّة القبليّة الّتي يحاول كلّ فريق أن يكثر من مفاخره وسؤدده وأن يرفعوا

(١) .النّجم:٥٠،٥١.
(٢) .الحاقة:٨.
(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ١: ٨.
(٤) طبقات فحول الشعراء: ١: ٩.
(٥) طبقات فحول الشعراء . ١: ١١.
(٦) طبقات فحول الشعراء: ١: ١١.
(٧) طبقات فحول الشعراء: ١: ٢٦.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أشعارا لايرغبون فيها ويورد رأيًا مهمًا حول ضياع الشّعر ينقله عن أبي عمرو بن العلاء: (ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير)[1] فهو بذلك قد وضع قواعد نقديّة هامّة من أصول النّقد التّطبيقيّ وهو التّحقق والتّأكد من النّص الشّعريّ قبل دراسته ونسبة قائله وصحّة الرّواية وإجماع العلماء على ذلك.

آراء نقديّة عند ابن المعتز:

أهمّها قضية السّرقة ويبين موقفه منها وهو يشبه آراء نقاد آخرين من معاصريه فيقول: (ولايعذر الشّاعر في سرقته حتّى يزيد أو يأتي بأجزل الكلام الأوّل، أو يسنح له بذلك معنى يفضح ما تقدمه ولايفتضح به وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لافقير إليه)[2]

وهذا الرّأي موجود في كتابه الموشح إلّا أنّه قد طبقه في الطّبقات وذلك عندما ذكر أخبار سُلم الخاسر فقال كان من المطبوعين المجيدين، وكان تلميذا لبشار بن برد الأعمى ولما قال بشار بيته هذا:

من راقب النّاس لم يظفر بحاجة وفاز بالطّيبات الفاتك اللّهج[3]

أخذ سُلم هذا المعنى، وجاء به في أجود من ألفاظه وأفصح وأوجز فقال:

من راقب الناس مات غمًا
وفاز باللّذة الجسور

وقال بشار- حين قال بيته ذلك-: ما سبقني أحد إلى هذا المعنى ولا يأتي بمثله أحد. فلما قال سُلم هذا البيت، قال راوية بشار صرت إليه فقلت: يا أبا معاذ، قد قال سلم بيتًا أجود من بيتك الّذي تعجب به. قال: وما هو؟ فأنشدته البيت، فقال: أوخ، ذهب والله بيتي، لوددت أن ولاءه لغير آل أبي بكر فأقطعه وقومه

(١) طبقات فحول الشعراء: ١: ٢٥.
(٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي: ١١٩.
(٣) ديوان بشار بن برد:ج٢/٥٦.

بهجوي وهذا ممّا يدلّ أنّ بشار كان صحيح الدّين. ثم نحاه عن نفسه، حتّى كلمه فيه بعض إخوانه فرده.

وسُلم أحد المطبوعين المحسنين وكان كثير البدائع والرّوائع في شعره وسار بيت سُلم الّذي ذكرناه، ولم يسر بيت بشار[١] ونستطيع أن نسبغ عليه صفة (سعة الصدر) في النّقد ويحميه من الاتهام بالتّحيز لطريقته ؛ وفي ظل هذه التّأثريّة وحدها يستطيع أن يترجم لشعراء من هجائي أسرته ومداحي أهل

البيت (عليهم السّلام) أمثال السّيّد الحميريّ، ودعبل الخزاعيّ، وهو بهذا المظهر يحقق صفة النّاقد العادل أكثر ما تحققه الموضوعيّة، وكذلك عنده قضية التّناص وذلك عندما ذكر أخبار السّيّد الحميريّ، فيقول عنه: (كان شاعرًا ظريفًا حسن النّمط مطبوعًا جيدًا محكم الشّعر مع ذلك، وكان أحذق النّاس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشّعر، لم يترك لعليّ ابن أبي طالب فضيلة معروفة إلّا نقلها في الشّعر)[٢].

ومن الأمور الّتي وجدناها في كتاب الطّبقات فهو يهتم برواية الشّعر وسند قائليه عندما يقول: حدثني فلان عن فلان وهو بذلك يكون راويا للشعر أيضا ولأنّ كثيرا من الشّعراء هو معاصر لهم أو من تلامذة أساتيذه أمثال ثعلب والمبرد ووضعه الاجتماعيّ يسمح له أن يكتب عنهم مباشرة فتكون الرّواية معتدًا بها عند أهل العلم . ومن الأمور الّتي يميل كثيرا إليها هو البعد الآيدلوجيّ للشاعر والاجتماعيّ وماله من تأثير على الشّعر وكيف يخرج لهذه الأسباب والغايات وبنقله كلّ ذلك

نجده في معظم الكتاب فمثلا أخبار سُديف[٣] وكذلك عندما يروي عن أخبار الحمقى وكيف أنّهم أرادوا التّفنن

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز – ١٠.

(٢) . طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣٢.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٣٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

في الحمق[1] فهو لم يبوب في طبقاته على أساس الأغراض ولا الجودة ولا الكثرة فنراه قد ذكر أخبار البحتريّ وذكر قبله ابن أبي حفصة الأصغر وبعده أخبار العطويّ فلم يقدم البحتريّ عليهما وإنّما ذكر كلّ بأخباره وموجز شعره ونجده قد توقف مع أبي تمام في المعاني والبدع الكثيرة الّتي ميزت شعره وقد عابه على استعمال الألفاظ الغريبة[2].

الخاتمة

تعدّ فكرة الطبقة من أبرز القضايا النّقدية التي اهتّم بها النّقاد ومن خلال الاطلاع والبحث وجد هذا المفهوم ليس عند النقاد وحسب وهو مفهوم متداخل بين معظم العلوم وقد استعرضت هذه الوريقات بعض الفروقات بين الناقدين وما أتى به من تشابه في مواضع بالرغم من بعد المساحة التّأريخيّة التي بينهما ووضع كل ناقد اجتماعيا وماله من تأثير على آرائه النّقديّة .وطرحها في كتابه.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أساس البلاغة جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار صادر، ط١، بيروت لبنان، ١٩٧٣م.

٢- بغية الوعاة في طبقات المتكلمين والأدباء، جلال الدين السيوطي، ت محمد

أبو الفضل إبراهيم، منشورات عيسى الحلبي، ١٩٦٤م.

٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني إلى لقرن الثامن الهجري)، د. إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٨م.

٤- تاريخ النقد الأدبي، تأليف: د. جلال الخياط، د. داود سلوم، د. عناد غزوان،

(١) ينظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، أخبار أبي العبر العباسي: ٣٤٢-٣٤٣.
(٢) . ينظر: تاريخ النقد الأدبي: ١١٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ساعدت وزارة التعليم العالي على نشره، بغداد، ١٩٨٨م.
٥- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان طل، ١٩٨٣م.
٦- ديوان بشار بن برد، جمع ودراسة وتحقيق: محمد بن طاهر عاشور ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة للثقافة العربية، ٢٠٠٧م
٧- طبقات الشعراء، لعبد المعتز (ت ٢٩٦هـ)، ت: عبد الستار أحمد فراج ،دار المعارف بمصر (د.ت).
٨ - طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ)، ت:محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، (د.ت).
٩- الطبقة من الشعراء لدى محمد بن سلام، د. علي جواد الطاهر، دار الفكر للنشروالتوزيع، ١٩٩٥.
١٠- الفهرست، لمحمد بن أسحاق ابن النديم (ت٣٨٠هـ)، ت: رضا تجدد ، مطبعة واشكاه، طهران، (د.ت)
١١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي؛ تحقيق محمود مسعود أحمد، المكتبة العصرية، بيروت، مادة فحل، ٣ /٢٠١٤، د.ط، ٢٠١٤.
١٢- لسان العرب، ابن منظور، باب اللام، دار صادر، بيروت، ١١ /٥١٨، د.ط،(د.ت).
١٣- المصون في الأدب، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٣هـ)، ت:عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، الناشر دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٩٨٢م.
١٤- معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، نشر ومراجعة، د. أحمد فريد رفاعي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، (د.ت).
١٥- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، كتاب الفاء باب الفاء والحاء وما يثلثهما،

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

٤ /٤٧٨، د.ط، د.ت.
١٦- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين بن عبد الرحمان بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء ،الأردن،ط٣،١٩٨٥م.
١٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت).